إضاءات نقدية (فصلية محكّمة)
السنة الرابعة – العدد الثالث عشر – ربيع ١٣٩٣ش / آذار ٢٠١٤م
صص ١٢٤ ـ ١٠٣

تدوين المعاجم الفارسية فى عصر الكوركانيين المغول فى الهند

زرين‌تاج پرهيزكار*
ايرج مهركى**
مهدى ماحوزى***

الملخص

لم يلق الأدباء والفنانون فى العهد الصفوى أىّ دعم أو تشجيع من البلاط الصفوى ممّا أدّى إلى نزوحهم الجماعى إلى شبه القارة الهندية. وبالمقابل كان الترحيب الذى يلقاه المتحدثون بالفارسية والكتاب وجميع الأدباء والفنانين الإيرانيين فى الهند والحفاوة التى تستقبلهم بها إمبراطورية الكوركانيين المغول يعطى زخماً لهذا النزوح الجماعى. إنّ نفوذ الثقافة الإيرانية واللغة الفارسية – التى كانت اللغة الرسمية فى بلاط المغول فى الهند – أدّى إلى إزدهار جميع الفنون الأدبية وبخاصة فن تدوين المعاجم فى هذا العصر. ويمكن تقسيم عملية تدوين المعاجم الفارسية إلى ثلاث مراحل هى: ١. قبل المغول "القرن ٧ حتى ٩" ٢. العهد المغولى "القرن ١٠ حتى ١٣" ٣. بعد العهد المغولى أو العهد الجديد "القرن ١٤ وما بعده".

لقد اهتمّ كتّاب المعاجم فى العهد الأول بجمع اللغة الشعرية غير آبهين بلغة الحوار أو لغة الكتابة لذا فإنّ المعاجم التى وضعت فى هذه الفترة لا تعتبر "شاملة". غير أنّ أكثر الأعمال دقّة وجدّية هو ما وضع فى العهد الثانى أى فى عهد الإمبراطورية المغولية وسيعالج هذا المقال دراسة أفضل المعاجم التى وضعت فى هذا العصر دون غيره من العصور.

أمّا العهد الثالث أو العهد الجديد فيطلق على عصر سيطرة البريطانيين على أرض شبه القارة الهندية ونهاية العهد المغولى فى هذه البلاد، حيث بذلوا أقصى جهودهم فى استبدال اللغة الفارسية الرسمية باللغة الانكليزية.

الكلمات الدليلية: تدوين المعاجم، المغول، شبه القارة الهندية، العهد الصفوى، نزوح الأدباء.

---

*. طالبة الدكتوراه التخصصية فى اللغة الفارسية وآدابها بجامعة آزاد الإسلامية فى رودهن، إيران.
**. أستاذ مساعد بجامعة آزاد الإسلامية فى كرج، إيران. I.Mehr41@gmail.com
***. أستاذ مشارك بجامعة آزاد الإسلامية فى رودهن، إيران. Zarintaj_parhizkar@yahoo.com

التنقيح والمراجعة اللغوية: د. هادى نظرى منظم
تاريخ الوصول: ١٣٩٢/١٠/١٠ش تاريخ القبول: ١٣٩٣/٣/٤ش

المقدمة

«كان الكوركانيـون المغـول فى الهند قد اضطلعوا بالدور الأكبر فى نشـر الشـعر والأدب الفارسـيين فى تلـک البلاد. إنّ الكوركانيين الهنود الذيـن يطلق على دولتهم الإمبراطوريـة البابرية أو إمبراطورية المغول فى الهند كانـوا يمثّلون آخر إمبراطورية للعصر الذهبى الإسلامى فى الهند وقد أسّسها بابر – الفاتح المغولى- الذى كان الأمير تيمور جدّه الخامس، فى تلک البلاد الشاسعة وكانت المنافسة بينها وبين الصفويّين فى إيران على أشـدّها. حيث كانت أرض شـبه القارة الهندية تمثّل أرض الفرص للشعراء والأدباء والفنانين وذلک بسبب الدعم والتشجيع اللذين كانوا يلقونهما هناک.» (تقرير مجمع اللغة الفارسية: ٤) كما أنّ عدم اهتمام الملوک الصفويّين بهم كان يزيد من رغبتهم فى النزوح إلى شـبه القارة. كان التساهل والجود والكرم من سمات الحكام المغول فى الهند الأمر الذى حوّل تلک الأرض إلى مركز علمى وأدبى وبخاصة فيما يتعلّق بتدوين المعاجم والتاريخ وكتب التراجم.

ستسـعى الباحثة فـى هذا المقال إلى تسـليط الضوء على تاريـخ تدوين المعاجم الفارسـية فى شـبه القارة مع عناية خاصة بدور الإمبراطورية المغولية فى ازدهار هذا الفن. لقد تناول المرحوم سـعيد نفيسـى فـى مقدمة "لغتنامه" والأسـتاذ ذبيح الله صفا فى "تاريخ أدبيات" والأسـتاذ سيد محمد دبير سـياقى فى كتاب "فرهنگهاى فارسى" (المعاجم الفارسية) بالتفصيل موضوع تدوين القواميس والمعاجم الفارسية. ويعدّ كتاب الأستاذ شهريار نقوى فى موضوع المعاجم الفارسية فى شبه القارة الهندية والباكستان من المصادر المهمّة لهذا المقال كما راجع الباحثون العديد من المصادر والمراجع الأخرى التى وردت الإشارة إليها داخل النص.

الأواصر القديمة بين الإيرانيين وسكان شبه القارة الهندية

«تعـود جذور الوشـائج الأولى بـين الإيرانيين والهنود إلى الأسـاطير حيث ذكر بعض المؤرخين أنّ أرض الهند كانت من نصيب إيرج ابن فريدون.» (حمزة الاصفهانى، ١٩٦٧م: ٣٣)

«وقد ورد اسم الهند فی الأفستا أربع مرّات وإنّ أهم وأفضل تعريف عن البنجاب قد ورد فی "فرکرد الأول من فنديداد فی آلأفستا" حيث تناول بالشرح والوصف أرض البنجاب بذکر ستّة عشر مکاناً منها.» (محمدباقر، ١٩٦٧م: ٢٩٧) «وتدلّ القواسم اللغوية والطقوس المشترکة أيضاً علی هذا التعايش الطويل بين الشعبين.» (آموزکار، ١٩٩٥ش، ج١: ٤٨) «أمّا تاريخياً فقد فتح کوروش الأخمينی بلاد بلخ وأفغانستان والبنجاب والسند وتسبّب فی إقامة العلاقة الثقافية والاقتصادية والسياسية داخل شبه القارة الهندية الأمر الذی استمر حتی سقوط الأخمينيين وعلی الأرجح حتی القرن الثانی الميلادی وإن لم تکن لغة الإيرانيين فی تلک الفترة اللغة الفارسية أو الفارسية الدَّرية.» (معين، ١٩٥١م، مقدمة برهان قاطع، ج١: ٢٧)

بدايات معرفة الهنود للغة الفارسية

«يذهب الاعتقاد العام إلی أنّ اللغة الفارسية تعتبر من بقايا اللغة البهلوية التی کانت سائدة فی إيران فی القرنين الأول والثانی الميلاديين کما تؤکد ذلک الدراسات التی أجريت حتّی اليوم.» (محمدباقر، ١٩٦٧م: ٢٩٩)

وکان الکوشانيون يحکمون فی هذه الفترة علی جزء من شبه القارة الهندية وقد وسعوا رقعة حکمهم لتشمل المناطق الشرقية فی إيران وبذلک استطاعوا إقامة علاقات سياسية مع الإيرانيين ونشروا اللغة الفارسية فی القرنين الأول والثانی الميلاديين فی شبه القارة الهندية.

«ويبدو أنّ الهنود وجدوا فی القرن الثالث الهجری فرصة سانحة لمعرفة اللغة الفارسية حيث کانت اللغة السائدة بين الناس فی "مکران" کما ذکر مؤلف "المسالک والمماک".» (الاصطخری، ١٩٦١م: ١٥١) «وعندما توطدت العلاقات التجاريّة بين الإيرانيين وسکان شبه القارة الهندية والباکستان وبدأ الإيرانيون رحلاتهم إلی هناک فإنّ الناس فی تلک البلاد قد زادت معرفتهم باللغة الفارسية أکثر فأکثر، وتوسعت العلاقات بين البلدين المجاورين خاصة بعد استيلاء الغزنويين علی الحکم حيث أقبل سکان شبه القارة الهندية والباکستان علی کتابة النثر ونظم الشعر بکل رغبة.» (محمدباقر، ١٩٦٧م:

۳۰۳)

وتعــد فترة غزو محمود الغزنوی للهند للمرة الأولی عام (۳۹۲ق) وحتی بداية العهد الغزنوی الثانی أی ســيطرة الســلاجقة علی الحكم (٤۳۲ق) بغــض النظر عن الأبعاد السياسية لهذا الغزو ذات أهميّة بالغة فی نشر اللغة الفارسية وآدابها وتطورها فی الهند.

وقد تســبّب محمود الغزنوی عن وعــی أو دون وعی فی تعزيز بنيّــة اللغة والثقافة الإيرانيين فی شبه القارة الهندية حتی استيلاء البريطانيين عليها.

وقد أدّت عدّة عوامل فی العهد الغزنوی بشــكل عام إلــی دخول العناصر الثقافية الإيرانيــة إلی أجزاء من الهند لتكون كأســاس لهذه الثقافــة فی المجالات المختلفة فی تلک البلاد.

«العامل الأول هو أنّ ظهور الغزنويين القوی جداً إلی جانب اســتراتيجية سياسية وعســكرية مستقرة فی الشرق "وإن كان باســم الجهاد ضد الكفار" قد أدّی إلی توسع رقعة الإمبراطورية الإســلامية إلی المناطق الشماليّة والشرقيّة فی الهند. العامل الثانی هو أنّ هذه الفتوحات قد اســتطاعت إلغاء العوائق السياســية والحدود لتوفر إمكانية السفر واللقاء بين الأدباء وسائر زوار تلک البلاد الموصوفة بأرض العجائب. أمّا العامل الثالث فهو دعم الغزنويين المادی والمعنوی المباشــر للمثقفين وبخاصة فی ســاحة اللغة الفارسية وآدابها.» (سلطانيان، ۲۰۰٤م: ۹۸)

أمّــا فی العصر الغزنوی فقد ظهر شــعراء بــارزون وأفرد العوفی فــی تذكرة لباب الألباب فصلاً لشــعراء غزنة ولاهور. وممّا لاشّــک فيه أن الدولة الغزنوية الهندية لعبت دوراً لا ينكر فی الاهتمام بالفن والاهتمام بالشــعراء الذين نظموا بالفارسية وبالكتاب الذين كتبوا بها. وبنشــر اللغة والأدب الفارســيين بعد قرنين من سيطرة محمود الغزنوی علی الهند وباســتيلاء الغوريين علی الهند نشــأت فكرة تأسيس دولة إسلامية فی تلک البلاد. وقد أخذت المملكة الإســلامية فی تلک البلاد طابعاً رسمياً وتحوّلت أجزاء مهمة من شبه القارة الهندية مثل دلهی وبنغاله إلی عواصم لحكم الحكام المسلمين.

«بعد تأســيس الدولة الإسلامية فی الهند انقسم المجتمع الإسلامی فيها إلی طبقتين هما طبقة أهل الســنة وطبقة الكتاب. لقد كان أهل السنة من الأتراک وكانوا يتحدثون

بالتركية ولكنّهم كانوا مطلعين على اللغة والثقافة الفارسيتين أمّا طبقة الكتاب فكانوا من الإيرانيين الذين عملوا فی الدوائر الحكومية لذلک فقد كانت الأمور الحكومية فی هذه الدوائر تتم باللغة الفارسية وبذلک انتشرت اللغة الفارسية فی تلک البلاد بشكل رسمی.» (شريفحسين قاسمی، ١٩٩٨م: ٣) «وكانت هذه الفترة متزامنة مع الهجوم المغولی على إيران. تعتبر بدايات القرن السابع الهجری فترة انتشار اللغة الفارسية فی الهند فقد اتّجه الكثير من أبناء الملوک والأمراء المسلمين الهاربين من إيران وماوراء النهر بسبب هذا الهجوم إلى بلاط الملوک المسلمين فی الهند. كان غياث الدين بَلبَل ملكاً مسلماً فارسی اللغة يحكم جزءاً من الهند وكان الشاعر أمير خسرو دهلوی يقوم بمدحه.» (فلاح رستگار، ١٩٧١م: ٨١٩)

أمّا فی القرون التالية فقد أصيبت الحكومات الإسلامية فی تلک الربوع بالضعف جراء هجوم الأمير تيمور على الهند الشمالية وبدأت الأرضية المناسبة تتوفر لتأسيس دولة مركزية مقتدرة لتنهی هذه الحالة الفوضوية.

الكوركانيون ورعايتهم للأدب "المغول المثقفون"

لقد شهد القرن العاشر الهجری حكم أحد أحفاء الأمير تيمور والذی كان يدعی ظهيرالدين محمد بابر فقد كان يصل بنسبه فی جدّه الخامس إلى الأمير تيمور الكوركانی الذی كان ينحدر من أصول مغولية. لقد أنشأ الأمير تيمور بلداً واسع الأطراف واستطاع توسيع الرقعة الجغرافية لحكمه إلى جميع مناطق آسية الوسطى من جهة وإلى خراسان كلّها وإلى جميع مناطق إيران والدولة العثمانية وجزء من الهند. ولكنّ فتوحات تيمور التی كانت ذات صبغة هجومية أكثر من كونها فتوحات تؤدی إلى السيطرة على البلاد بشكل مستقر لذا فإنّ البلاد المفتوحة كانت تخرج عن سيطرة التيموريين تدريجياً. وبعد وفاة تيمور بدأ العثمانيون والتركمان وآل جلاير محاولاتهم لاستعادة البلاد التی كانوا قد خسروها ولكنّ على الرغم من الصراع المرير الذی دار بين أولاد تيمور على السلطة إلّا أنّ السلالة التيمورية لم تنقرض نهائياً إذ نقل أحفاد تيمور حكمهم إلى الهند وأسّسوا هناک الدولة البابرية. لقد نعتت المصادر الأروبية البابريين بسبب انتسابهم

إلى تيمور "بمغول الهند" أو "المغولى الكبير" كانت رقعة حكم مغول الهند تشمل جزءاً كبيراً من شبه القارة الهندية "وهى كانت تشمل الهند والباكستان وبنغلادش وأجزاء من أفغانستان اليوم".

«إنّ الفارق الكبير بين التيموريين وجنكيزخان هو أنّ التيموريين لم يكونوا مثل المغول فى شراستهم وتدميرهم للبلاد وذلک لاعتناقهم الدين الإسلامى واختلاطهم بالحضارة الإيرانية. بالإضافة إلى أنّ معرفتهم بالشعر والأدب والفن الإيرانى قد جعلتهم حماة للأدب والفن الإيرانيين حيث أسدوا خدمات جليلة فى هذا الصدد.» (صفا، ١٩٩٤م، ج٤: ٤١) «لقد كانت فترة حكم البابريين فترة مزدهرة جداً من حيث انتشار اللغة الفارسية فى الهند. فاللغة الفارسية التى كانت تعيش فى ذلک العصر فى وئام مع سائر اللغات واللهجات الهندية وكانت تتعايش معها تعايشاً سلمياً بدأت تتفوق عليها وتزدهر بسبب سيطرة البابريين "الكوركانيين" –الذين كانوا من ثمار بلاط هراة المزدهر– على مقاليد الحكم. لقد بلغت هذه السلامة من القوة مكانة بحيث إنّها كانت فى عهد أكبرشاه مسيطرة على أغلب مناطق بلاد الهند.» (فلاح رستگار، ١٩٧١م: ٨١٩-٨٢٠)

«لقد كان ازدهار اللغة الفارسية فى ذلک العهد قد جعل دلهى تضاهى من ناحية الأهمية والمكانة العلمية والثقافية سمرقند وكانت مدينة جنبور الهندية تدعى فى القرن الثامن الهجرى شيراز الهند. وكان التنافس بين المدن الهندية الكبرى على أشده لنيل امتيازات فى نشر العلم والأدب الفارسى إنّ تشجيع الملوک الهنود للعلماء والشعراء الإيرانيين الكبار وتوجيه الدعوة إليهم للتوجه نحو الهند خير دليل على اهتمامهم بنشر اللغة الفارسية.» (فلاح رستگار، ١٩٧١م: ٨٢١)

«إنّ قطع البلاط الصفوى الدعم عن الفنانين وعدم رغبته فى الاستثمار لنشر الفن وتطويره إلى جانب فقدان الأمن الاجتماعى فى مجتمع كان يعانى الفساد والسقوط حيث كان الجميع فيه معرضين للخطر أدّى فى نهاية المطاف إلى النزوح الجماعى للفنانين. وهذه الظاهرة هى التى توصف اليوم "بهجرة الأدمغة" وهى نتيجة طبيعية للظروف الحياتية والاجتماعية السيئة.» (كوشا، ٢٠٠٤م، العدد٢٦: ٤٠)

«وبالمقابـل كان الملـوک الكوركانيون قـد حوّلوا أرض الهند إلـى "البيت الآمن" للفنانين والأدباء والشعراء. وكان ظهير الدين محمد بابر الذی أسّس فی العام (٩٣٢ق) أعظم الحكومات فی شـبه القارة الهندية من المعنيين بالعلم والمتذوّقين للأدب ونستطيع أن نلاحظ أشـعاره الرائعة فی الكتب التاريخية والتراجم مثل أكبرنامه وتاريخ فرشـته وتذكرة مرآة الخيال. وهنا نورد آثار بابر المنثورة والمنظومة وهی: "ديوان باللغة التركية" و ديوان باسم "مثنوی يافقه البابری" ورسالتان باسم "رساله والديه" و"رسايل عروض" وكتاب آخر تحت عنوان "واقعات بابری".» (إدريس أحمد، ١٩٩٨م: ١٤٥)

ويبدو أنّ ظهير الدين بابركان يميل إلى الطريقة النقشبندية الصوفيّة وتؤكد الرباعية التالية هذا الزعم:

درويشان را گرچه نه از خويشانيم ليک از دل و جان معتقد ايشانيم
دور است مگوی شاهی از درويشی شـاهيم ولـی بنده درويشـانيم

– رغم أنّنا لسنا من أقارب الدراويش غير أنّنا نؤمن بهم بقلوبنا جازمين.

– لا تقل إنّ الملک لا يكون قريباً من الدراويش إنّنا ملوک ولكنّنا عبيد الدراويش.

«إنّ غالبية ملوک هذه السلالة كانوا من محبی العلم ومشجعيه بل كانوا شعراء وكتّاباً ونقاداً. كان بابر وابنه همايون "ثانی ملوک الكوركانيين" رغم انشغالهما بشؤون الحكم قد قاما بإنشـاء العديد من المدارس والمكتبات وكان بلاطهما مزدهراً بحضور الشعراء والكتاب.» (فاطمه حسينی، ١٩٩٧م: ١٣٠)

«لقد كان لأخلاف بابر المشـهورين دور كبير فی نشر اللغة والأدب الفارسيين ومن أشـهر هؤلاء ناصرالدين همايـون (٩٣٧–٩٦٣ق) وجلال‌الدين أكبر (٩٦٣–١٠١٤ق) ونورالدين جهانكير (١٠١٤–١٠٣٧ق) وشـهاب‌الدين شـاه جهان (١٠٣٧–١٠٦٨ق) ومحيی‌الديـن اورنک زيـب (١٠٦٨–١١١٨ق) إنّ الظرف ودقّة الطبـع اللذين ورثهما ظهيرالديـن من أجداده: قد انتقلا إلى ابنه وإلى أحفاده إذ كان نصيرالدين همايون ابن بابر وخليفته ينظم الشـعر بالفارسـية وكان لقبه الشعری "همايون" وكان له ديوان شعر كما ذكر ابوالفضل العلّامی وكانت نسخة منه موجودة فی مكتبة أكبرشاه حسب وصف العلامـی وقد نقل أمين أحمد الرازی فی تاريخ فرشـته الرباعية التالية من نصيرالدين

همايون.» (صفا، ١٩٩٤م: ٤٥٢)

جمعســت دلم با تــو درون خانه — در تفرقــهام بی‌تو چو در ويرانه

چون با تو شوم با خودم و هشيارم — چون بی‌تو شوم بی‌خودم و ديوانه

– يشــعر قلبــی بالاطمئنان عندما يكون معک وأنا فی حالة التشــتت عند فراقک وكأنّنی بين الأطلال.

– فعندمــا أجتمــع بک أكون واعياً عاقلاً وعندما أفارقــک أفقد وعيی لأتحول إلی مجنون.

«وبالإضافة إلی همايون فإنّ أبناء بابر الثلاثة كانوا شعراء أيضاً وهم ميرزا كامران (م٩٦٤ق) وميرزا عسكری (م٩٦١ق) وميرزا هندال (م٩٥٨ق).» (صفا، ١٩٧١م: ٤٥٣)

وعلی الرغم من أنّ الملک الثالث من ســلالة مغول الهند المســمّی جلال‌الدين أكبر (٩٦٣-١٠١٤ق) لم يدخــل المدرســة ولم يجد الفرصة لتعلّم علــوم عصره اتباعاً لتقاليد أســرته غير أنّ آثاره وأقوال أبی‌الفضل العلامی فی كتابــه أكبرنامه تدلّ بوضوح علی أنّه كان يجيد الفارســية وكان يعرف أشــعار مولوی وحافظ. غير أنّ الفضل الذی يمتاز به هو دعمه الســخی للأدباء الفرس وإغداق الأموال عليهم وقد أدّی عمله الكبير هذا إلــی أن يتجه الأدبــاء الفرس إلی بلاطه من إيران ومن الهند. إنّ الســنة المحمودة التی وضعها كميرات فی بلاط الكوركانيين هی اختيار أمير الشــعراء وإعداد طابور خاص بالشعراء فی المناسبات الرسميّة وتخصيص راتب شهری لهم. فقد أمر أكبر شاه بتأسيس أقسام خاصة بكتابة التاريخ وتسجيل الأحداث والترجمة ممّا أدّی إلی ترجمة آثار كثيرة وتأليف كتب متعددة. كما ألف وزيره الشهير أبوالفضل العلامی كتاب "أكبرنامه" و"عين الكبری". كان عدد الشــعراء الذين عاشــوا فی بلاط جلال‌الدين أكبر أو انتسبوا إليه ومدحوه كبيراً جداً وقد أورد أبوالفضل العلامی فی كتابه "آئين الكبری" أسماءهم تحت عنوان "قافية سبحان".

كما كان الملــک نورالدين جهانگير (١٠١٤-١٠٣٧ق) وزوجته الإيرانية نورجهان بيكــم شــاعرين وكانا يرعيان الشــعراء وكان لجهانكير عدد كبير من الشــعراء الذين يمدحونــه ســواء عندما كان ولياً للعهد أو عندما أصبح ملــكاً. وقد كتب أحداث حياته

علی غرار بابر فی كتاب تحت عنوان "توزک جهانكيری" معتمداً علی ذوقه الأدبی وله هذه الرباعية:

ای آنكه غم زمانه پاكت خورده   اندوه دل وسوسه ناكت خورده
ماننده قطره‌های باران به زمين   جا گرم نكرده‌ای كه خاكت خورده

- يا من أضناه حزن الدهر بالكامل ويا من أتعبه حزن القلب الملئ بالهواجس.
- فأنت كقطرات المطر التی تنصبّ علی الأرض ولكنّها قبل أن تستقر عليها فإنّ التراب يلتهمها.

«إنّ آخر ملوک الكوركانيين الكبار فی الهند هو الملک اورنک زيب عالمگير (١١١٨-١٠٦٩ق) حيث بلغت عظمة هذه السلالة وشوكتها غايتها فی عهده لقد كان ملمّاً بالعلوم الأدبية وكان منشئاً أديباً كبيراً. غير أنّه أظهر تعصباً دينياً شديداً ضد الهندوس -علی العكس من جلال‌الدين أكبر وجهانگيرشاه جهان- وتظاهر بعدم الرغبة فی الشعر والشعراء حاله فی ذلک حال الشاه طهماسب الصفوی فی إيران بينما كان عدد كبير من الشعراء الفرس مازالوا موجودين فی الهند فی ذلک العهد. وعلی الرغم من أنّ موت اورنک زيب يعتبر بداية النهاية لعظمة الحكم الكوركانی فی الهند غير أنّ شجرة الأدب الفارسی ذات الجذور القوية كانت تثمر إلی فترة طويلة فی تلک البلاد. لقد كانت الأنشطة الأدبية والثقافية منذ عهد أكبر وحتی عهد شاه جهان منقطعة النظير فقد وفدت إلی الهند قوافل من الشعراء والكتاب ووردت أسماء ٧٤٥ شخصاً من المنضوين إلی "قافلة الهند".» (فاطمه حسينی، ١٩٧٧م: ١٣١) لقد تحوّلت عدّة مدن كبری فی الهند فی عهد الملوک الكوركانيين الأوائل إلی بيئات إيرانية وكانت تحتضن الثقافة الإيرانية وترعاها.

«وكان هؤلاء الملوک وأبناؤهم يتحدثون ويكتبون بهذه اللغة كما أنّ كبار قادتهم ووزرائهم وكبار بلاطهم كانوا كذلک ينتسبون إلی الأسر الإيرانية الشهيرة حيث كانوا يبالغون فی احترام كل شاعر أوكاتب مبدع قادم من إيران ولم يكونوا يألون جهداً فی إكرامهم لحظة واحدة.» (صفا، ١٩٩٤م، ج١/٥: ٤٨و٤٩)

تدوين المعاجم فى شبه القارة الهندية فى العهد المغولى

إنّ من بين ما يقرب من مائتين وخمسين معجماً تمّ وضعه من الفارسية أو من الفارسية إلى غيرها من اللغات فإنّ حصة المؤلفين الإيرانيين تبلغ حوالى أربعين معجماً وبديهى أنّ الشعوب المجاورة وبخاصة الهنود الذين كانت اللغة الفارسية لغة بلاطهم ولغتهم الأدبية قد اهتموا بوضع المعاجم أكثر من الإيرانيين أنفسهم وذلك لحاجتهم إليها.

«وكان الإيرانيون يشعرون بعدم الحاجة إلى قواميس اللغة لكون اللغة الفارسية لغتهم التى رضعوها لذلک فقد كان اهتمامهم قليلاً نسبياً بوضع المعاجم أو القواميس شأنهم فى ذلک شأن العرب الذين كانوا لا يرون حاجة إلى وضع قواميس فى اللغة العربية وعندما أصبحت العربية اللغة الدينية للإيرانيين بدأوا بوضع القواميس العربية لحاجتهم إليها.» (معين، ١٩٥٨م، ج١ مقدمه: ٤١) واستناداً إلى المصادر الأولية فإنّ من جملة القواميس التى وضعها الإيرانيون بأنفسهم يمكن الإشارة إلى قاموس أبيحفص السغدى المشهور بالرسالة وتفاسير فى لغة الفرس لقطران الأرموى ولغة الفرس للأسدى.

كما ذكر آنفاً فإنّ اللغة الرسميّة فى البلاط ولغة العلماء والأدباء والطبقة الارستقراطية ولغة السياسة والدين فى العهد الكوركانى كانت الفارسية الأمر الذى يوضّح مدى حاجة المتحدثين بهذه اللغة فى تلک البلاد إلى القواميس بهدف الكشف عن دقائق اللغة وإتقانها.

وعلى الرغم من أنّ الوثائق تدل على أنّ الظروف كانت مؤاتية لوضع قواميس اللغة منذ بدايات القرن السابع الهجرى (٦٠٣ق) وتأسيس الدولة الإسلامية الفارسية اللغة فى الهند غير أنّ تلک القواميس عبارة عن قواميس شعرية ولم يتم فيها الاهتمام بالمفردات المستخدمة فى المكاتبات والمحاورات كما سنذكر لاحقاً.

ومن خلال نظرة عابرة إلى ظروف وضع المعاجم فى العهد المغولى فى الهند يمكن تقسيم فن تدوين المعاجم فى تلک البلاد إلى ثلاثة أقسام تاريخية وهى:

١. الفترة التى سبقت العهد المغولى "الكوركانى" (من القرن السابع حتى القرن التاسع الهجريين).

٢. العهد المغولی (من القرن العاشر وحتی القرن الثالث عشر الهجريين).
٣. عهد سقوط المغول "العهد الجديد" (القرن الرابع عشر الهجری).

العصر الأول

لقد توفّرت الأرضيات اللازمة لتدوين المعاجم والقواميس فی الهند منذ القرن السابع الهجری عندما تحوّلت اللغة الفارسية إلی لغة البلاط وإلی لغة الأدب بشكل رسمی وأبدی الهنود رغبة كبيرة فی تعلمها.

«إنّ المعاجم التی استخدمها كتّاب المعاجم فی هذا الفن كانت عبارة عن المعاجم التخصصية فی الشعر الفارسی وقد قام بإعدادها شعراء إيرانيون من مثل أبيالحسن علی بن أحمد الأسدی ومحمد بن فخر الدين هندوشاه وشمس فخری وذلک تلبية لحاجة الشعراء ومتذوقی الشعر الإيرانيين. ولأنّهم كانوا مهتمّين بالشعر فقط وكانوا يعتبرون اللغة والآداب ملكاً للشعراء لذا فإنّهم لم يهتموا بلغة الحوار والكتابة بل قاموا بجمع الألفاظ التی كان الشعراء يحتاجون إليها فی الشعر ولتسهيل عملية البحث عن القافية كان ترتيب الحروف علی أساس نهاية الكلمات.» (دزفوليان، العدد ٢٧: ١٨-١٩)

«لقد ذكر أصحاب أشهر المعاجم فی ديباجتها أنّ الهدف من تدوين المعاجم هو المساعدة علی فهم الشعر ومن بين أشهر القواميس فی هذه الفترة يمكن الإشارة إلی: معجم قواسی "أقدم معجم فارسی عرف فی شبه القارة الهندية" ودستور الأفاضل وبحر الفضائل وأداة الفضلاء وشرفنامه ومفتاح الفضلاء وتحفة السعادة ومؤيد الفضلاء. لم يكن مؤلّفو هذه القواميس معنيين كثيراً بالإعراب وبإيضاح المعانی ولكنّهم جاؤوا بشواهد شعرية لأكثر المفردات كما أنّهم لم يهتمّوا كثيراً باشتقاق الكلمات وتحقيقها ونقدها. وفی بعض الحالات يشعر المرء بأنه أمام قائمة من الألفاظ الشعرية التی وضعت أمامها الكلمات المرادفة لها.» (دزفوليان، ٢٠٠٠م، العدد٢٧: ١٩)

إنّ ترتيب المفردات فی معاجم هذه الفترة هو الحرف الأول للكلمة وهو الأساس لوضع "الباب" كما أنّ كل فصل يتكوّن من الحرف الأخير للمفردة. ولم تؤخذ الحروف الوسطی للكلمة بعين الاعتبار. الأمر الذی يجعل البحث عن الكلمة أمراً غاية فی

الصعوبة كما أنّهم جعلوا تقسيم الأبواب على أساس الحروف العربية وليست الحروف الفارسية. وبغض النظر عن المشاكل التى ظهرت فى قواميس هذه الفترة غير أنّها مهدت الأرضية لظهور قواميس أخرى فى الفترات التالية اتصفت بالدقة والكمال.

العصر الثانى: العهد المغولى (٩٣٣-١٢٧٤)

«لقد كانت اللغة الفارسية فى بلاط الكوركانيين هى اللغة الرسمية للبلاط والأدب والسياسة وكان كبار الأدباء يؤلّفون آثارهم فى شتّى المجالات بهذه اللغة. وكانت الأعمال المهمة فى مجال تأليف المعاجم الفارسية تعود إلى المؤلفين الهنود المتحدثين بالفارسية أو الإيرانيين النازحين إلى الهند الذين دخلوا فى بلاطها. خاصة وأنّ التيموريين فى الهند كانوا يغدقون العطاء على الأدباء شأنهم فى ذلك شأن أجدادهم فى إيران. وكانت اللغة الفارسية التى تحوّلت إلى لغة الدين والتصوف والأدب والشعر والسياسة والارستقراطيين جميعاً فى الهند قد شغلت جموعاً غفيرة من الناس بتعليمها وتعلمها.» (صفا، ١٩٩٤م، ج١/٥: ٣٨٦) «الأمر الذى سبب حاجة المتحدثين بالفارسية إلى وضع المعاجم بها وإثر عدم اهتمام الإيرانيين بوضع المعاجم الفارسية فإنّ علماء البلاد الأخرى كالهند وتركيا اللتين كانت الفارسية منذ عهد بعيد فيهما لغة رسمية للبلاط أو الآداب قد شعروا بالحاجة إلى تدوين المعاجم الفارسية وأقدموا على ذلك ورغم صعوبة عمل هؤلاء فى بداية المشوار ورغم الجهد الكبير الذى بذلوه فى هذا السبيل إلّا أنّ أخطاءهم كانت كثيرة جداً إذ لم يكونوا أصحاب اللغة ولم يكونوا يتقنونها بالكامل.» (معين، ١٩٥٨م: ٤١) وفى واقع الأمر يجب أن نقول بأنّ الخدمات التى أسداها هؤلاء كبيرة جداً بحيث يسهل التغاضى عن الأخطاء التى ارتكبوها فى آثارهم.

وبغض النظر عن الأخطاء التى وردت فى المعاجم التى دونت فى شبه القارة الهندية بنسب متفاوتة إلّا أنّ غالبية المعاجم التى وضعت فى القرن العاشر وحتى القرن الثانى عشر الهجريين "العهد المغولى" لم تزل تعتبر من مصادر اللغة الفارسية وقد ألفت غالبية هذه المعاجم فى الفترة من (٩٣٧ وحتى ١١١٩ق) فى عهد همايون شاه وأكبر شاه وجهانگيرشاه وشاه جهان واورنک زيب.

«لقد كان عدد الخطباء والشعراء باللغة الفارسية فى بلاطات هؤلاء الملوك عدة أضعاف نظرائهم فى إيران حيث إنّ الوثائق التاريخية حول العصر الإسلامى فى الهند كتبت باللغة الفارسية.» (دزفوليان، ١٩٩٨م: ٢١) «لقد شهد هذان القرنان ظهور شعراء كبار من أمثال: ظهورى وطالب آملى وكليم كاشانى وحزين لاهيجى وصائب وقدسى ونظيرى وعرفى وغيرهم من الشعراء. إنّ التطور السريع الذى شهده الأدب الفارسى فى الهند قد أجبر الهنود على بذل جهود كبيرة لتعلّم رموز اللغة الفارسية ودقائقها إذ كانت اللغة الرسمية فى البلاط كما كانت اللغة العلمية والأدبية فى البلاد أيضاً. لذا فإنّ الاقتضاءات الزمانية والمكانية قد دفعت الأدباء والفضلاء إلى الاهتمام بوضع المعاجم الفارسية وتدوينها منعاً لاختلاط اللغة الفارسية باللهجات المحلية وقد أصبح هذا الأمر محط اهتمام محبّى هذه اللغة ودفع الحكام إلى الاهتمام بهذا الأمر أيضاً.» (دزفوليان، ١٩٩٨م: ٢١) وعلى الرغم من إعجاب جميع الحكام المغول باللغة الفارسية إلّا أنّ دعم أكبرشاه وجهانگيرشاه وشاه جهان لهذه اللغة كان أكبر من غيرهم حيث تمّ تأليف أهم وأفضل المعاجم فى هذا العصر بيد أفراد البلاط فى بعض الأحيان.

ومن بين هذه المعاجم يمكن الإشارة إلى مجمع اللغات لأبى الفضل العلّامى وزير أكبرشاه وفرهنگ جهانگيرى لجمال الدين حسين انجو وفرهنگ چهاردانش لأمان الله خان وكانا من رجال البلاط أيضاً.

ويمكن تقسيم معاجم العهد المغولى إلى قسمين هما:

أ. المعاجم العامة "غير مختصة بموضوع معين"

ب. المعاجم التخصصية

ونقصد هنا بالمعاجم تلك القواميس اللغوية التى كتبت بهدف حلّ مشاكل اللغة الفارسية فى الشعر والنثر كما نقصد بالمعاجم التخصصية تلك القواميس اللغوية التى وضعت لفهم المفردات أو التعابير الصعبة فى شعر شاعر ونثر كاتب معين.

إنّ عدد المعاجم المكتوبة فى عهد الإمبراطورية المغولية وبخاصة الملوك الذين سبق ذكرهم فى الفقرة السابقة كبير وإنّ المجموعة التى توصف منها بالمعاجم الجيّدة تمّ طبعها حتى اليوم ولكن كثيراً من الباحثين والمختصين فى المخطوطات وكثيراً من المعجميين

يعتقدون أنّ كثيراً من هذه المعاجم لم تجد المكانة التى تستحقها سواء المسجلة منها أو غير المسجلة وذلک على الرغم من الجهود التى بذلها كتاب فهارس المخطوطات فى شبه القارة الهندية.

عدد من القواميس المهمة "المجموعة الأولى" فى العهد المغولى

– مجموع اللغات "مجموع اللغة" لكاتبه الوزير المناضل جلال‌الدين أكبرشاه –أبى الفضل العلّامى– وقد ألّف فى العام (٩٩٤ق) وقد اعتمد هذا المعجم ترتيب المفردات على أساس الحرف الأول تحت عنوان الباب والحرف الأخير للكلمة تحت عنوان الفصل وليس للحروف الأصلية دور فى هذا الترتيب ولم يسجل الكاتب حركات الحروف كما لم يشر إلى أصول المفردات كما لا تتوفر فيه الشواهد الشعرية أو النثرية.

«ويبدو من ديباجة هذا القاموس أنّ الأدب الفارسى كان يتمّ تدريسه فى جميع أرجاء الهند فى القرنين التاسع والعاشر الهجريين وكان وضع القواميس المتعددة فيها للغرض نفسه وكان كثير من سكان الهند يتكلمون بالفارسية كالإيرانيين تماماً.» (دبيرسياقى، ١٩٨٩م: ١٠٠)

– فرهنگ شيرخانى "فوائد الصنايع": من تأليف شيرخان سور فى العام (٩٥٥ق). ويعتمد ترتيب المفردات فى هذا القاموس على الحرف الأول للكلمة تحت عنوان الباب والحرف الأخير تحت عنوان الفصل ورغم استشهاده بالشواهد الشعريّة إلّا أنّه لم يذكر أسماء شعرائها.

– فتح الكتاب وقد ألّفه أبوالخير بن سعد الأنصارى فى العام (٩٩١ق) إنّ كل حرف فى هذا الكتاب تمّ تصنيفه تحت عنوان ثلاثة أبواب عربية وتركية وفارسية. لقد شكّل الكاتب الكلمات فى هذا القاموس غير أنّه لم يستشهد بالشواهد الشعرية.

مدار الأفاضل: من تأليف الله داد فيض سرهندى فى العام (١٠٠١ق) فى عهد الملک جلال‌الدين أكبر. وقد استخدم المؤلف المعاجم الفارسية إلى الفارسية والعربية إلى الفارسية كمصادر وفى ترتيب المفردات جعل الحرف الأول تحت عنوان الباب والحرف الأخير تحت عنوان الفصل وقد استشهد الله داد لبعض المفردات بالأبيات

الشعرية.

فرهنگ جهانگیری: وقد ألّفه نواب عضدالدولة جمال‌الدين حسين اینجو واستخدم فی تألیفه لهذا القاموس معجم ابن حفص السغدی کأقدم المعاجم واستخدم قاموسی مؤید الفضلاء وسروری کمعاجم معاصرة له. کما استفاد من مصادر أخری کتفسیر القرآن وکتب المصطلحات الطبية والفلکية ليتمکن من جعل قاموسه "کاملاً" وقد بدأ جمال‌الدين تأليف معجمه بأمر من جلال‌الدين أکبرشاه فی العام (۱۰۰۵ق) ولکنّ عمله انتهی فی العام (۱۰۱۷ق) أی فی عهد حکم الملک جهانگیر. لذلک فقد أطلق اسم هذا الملک علی الکتاب. لقد وضع فرهنگ جهانگیری فی أربعة وعشرين باباً وبترتيب الحروف الفارسية ومقدمة واثنی عشر "آئيناً" وخاتمة. إنّ ما يميّز هذا الأثر هو تنوع المصادر التی استخدمها وقد ذکر هذه المصادر فی مقدمته کما يتميز هذا القاموس لاهتمامه بالقضايا النحوية فی اللغة الفارسية.

«إنّ نجاح حسين اینجو فی الوصول إلی مفردات زند وبازند والأفستا جاء نتيجة تعاون أحد الإيرانيين الزرادشتيين الذين کان آزاد أحد المنشئين فی بلاط جلال‌الدين أکبر قد جاء به إلی "آغرا" و"فتح بورسيکری".» (صفا، ۱۹۹٤م، ۱/۵: ۳۷۸) ولعلّ الاعتماد المطلق علی أقوال شخص واحد وآرائه قد أدّی إلی ظهور بعض الأخطاء فی نقل المفردات.

«إنّ أسلوب اینجو فی ترتيب المفردات أسلوب غير متعارف عليه. إنّ أساس عمله فی ترتيب الأبواب علی الحرف الثانی ويأتی الحرف الأول تحت عنوان الفصل ومن ثمّ الحرف الثالث والرابع ... الأمر الذی جعل البحث عن الکلمات أمراً غاية فی الصعوبة. ولکنّ علی الرغم ممّا ذکر فإنّ هذا القاموس لعب دوراً مهماً فی مسار تطور تدوين المعاجم فی الهند فی القرن الحادی عشر بسبب وجود بعض الميزات فيه. حيث أصبح أساساً للکثير من القواميس التی وضعت لاحقاً.» (دبير سياقی، ۱۹۸۹م: ۱۲٤)

– فرهنگ درّ دری: تأليف علی يوسف شيروانی فی العام (۱۰۱۸ق) وقد وشّاه باسم أحد أبناء جهانگير الکورکانی وذکر فی المقدمة إثنی عشر مصدراً استفاد منه فی تأليف المعجم واعتمد المعجم فی ترتيب المفردات الحرف الأول ومن ثمّ الحرف الأخير.

– جهار عنصـــر دانش: قاموس مفصل للمفردات الفارســية والعربية ألّفه أمان الله حســينى الملقّب بأمانى من كبار بـلاط نورالدين جهانگير بين الأعوام (١٠١٤ و حتى ١٠٣٧ق) ويعتمـد فى ترتيب أبوابه الحروف الأخيرة للمفردات ويحتوى هذا القاموس على أربعة عناصر وهى:

العنصر الأول: المفردات العربية

العنصر الثانى: المفردات الفارسية

العنصر الثالث: التعابير المجازية والاستعارية ومفردات زند وبازند

المفردات الرابع: المصطلحات الطبية.

فرهنگ رشيدى: «من القواميس الفارسية المعروفة من تأليف سيد عبدالرشيد تقوى وهو مؤلّف كتاب ″منتخب اللغات شــاه جهانى″ فى العام (١٠٤٦ق) باســم شاه جهان وبعد ثمانية عشر عاماً أى فى العام (١٠٦٤ق) قد أخرج المعجم نفسه باسم الملک نفسه. وقد اعتبره فى الديباجة جمعاً بين فرهنگ جهانگيرى وسرورى ولكنّه أحجم عن إيراد شواهدهما الشعرية. إنّ أسلوبه فى ترتيب المفردات يشبه عمل محمدحسين بن خلف فى تدوين برهان قاطع بالإضافة إلى تشكيله للكلمات. يعدّ فرهنگ رشيدى بحق فى عداد أولى المعاجم النقدية.» (دبير سياقى، ١٩٨٩م: ١٥٤)

أشهر اللغات: ألّفه فى العام (١٠٨١) غلام الله بهكن صديقى وقد وضع باسم الملک اورنک زيب وجاء ترتيب مفرداته حســب الحرف الأول تحت عنوان ″الباب″ والحرف الأخـير باعتباره ″فصلـاً″ وقد اعتبره المؤلف مختارات من المعاجم الســابقة وقد ذكره مؤلّف ″فرهنگ نظام″ من ضمن مصادره.

لغت عالمگيرية: وقد كتب باســم اورنک زيب ألّفه فاضل محمد دهلو عام (١١١٩م) وجاء ترتيب المفردات فيه على أساس الحرف الأول كباب والحرف الأخير كفصل وقد أورد فى كل فصل المفردات العربية أولاً والفارسية لاحقاً.

جراغ هدايت: ألّفه ســراج‌الدين على خان آرزو من الشــعراء الهنود الذين نظموا بالفارســية وهو فــى واقع الأمر الجزء الثانى من معجم ″ســراج اللغــة″ المهم للمؤلّف نفســه وقد تمّ تأليفه لتوضيح المفردات الصعبة الواردة فى أشــعار المتأخرين ممن نظموا

بالفارسـیة. وزعم المؤلّف أنّ المفردات والمصطلحات المستخدمة فی معاجم هذا العصر لیسـت مثل جهانگیری وسـروری وبرهان. کان المؤلف یهدف من عمله هذا مسـاعدة الشـعراء الذین ینظمون بالفارسیة فی الهند وقد کان الاهتمام فی ترتیبه بالحرف الأول والثانی وتمّ تألیفه فی واحد وثلاثین باباً.

ب. المعاجم التخصصیة: کان تألیف المعاجم بغرض فهم أشـعار شـاعر معین نادراً فـی هذا العصر غیر أنّ الآثار التی وصلتنا مـن هذه الفترة تدلّ علی مدی رغبة محبّی اللغة الفارسـیة فی شبه القارة الهندیة فی النصوص الملحمیة والصوفیة مثل الشاهنامة للفردوسی ومثنوی لمولوی أو حدیقة الحقیقة لسنائی الغزنوی.

فرهنگ شـاهنامه: لقد ورد ذکر هذا الکتاب فـی مقدمة فرهنگ جهانگیری کأحد المصادر. ولاشـّک فی أنّه ألّف قبل العام (١٠٠٥ق) ولکنّ بالنظر إلی عدم وجود نسخة من الکتاب فإنّ إثبات نسبته إلی العصر المغولی أمر غیر ممکن.

کنج نامه: ألّفه علی بن تیفور بسـطامی ویتناول شـرح أبیات الشاهنامة واستشهد المؤلّف بأبیات الشاهنامة کشواهد شعریة وقد کان تألیفه عام (١٠٦٩ق). وأورده مؤلّف فرهنک نظام کأحد مصادره.

مشـکلات شـهنامه: کان تألیف الکتاب قبل العام (١٠٧٥ق) دون أدنی شـکّ وقد ذکره صاحب فرهنگ شـعوری فی مقدمة کتابه بالصورة ذاتها -مشـکلات شـهنامه- ولکنّ بالنظر إلی عدم وجود نسخة من الکتاب فإنّ إبداء الرأی حول کون هذا الکتاب وفرهنک شاهنامه الآنف الذکر کتاباً واحداً أمر غیر ممکن.

معجم شاهنامه: «لقد ذکر الخطاط اسم المؤلف وهو محمد بن الرضا بن محمد العلوی الطوسی ولا یعرف زمن تألیفه غیر أنّ التاریخ المذکور فی النسخة الموجودة فی جامعة لاهور "باکسـتان" هو (١٢٨٥ق). وقد علّل المؤلّف سـبب تسـمیة الکتاب -بالمعجم- بوجـود الأبیات المتفرقة فیه وأشـار إلـی کیفیة ترتیب المفردات قائلـاً: لقد کتبت من الحـرف "أ" وحتی الحرف "ی" ورتبتها کی تسـهل علی القـارئ عملیة البحث عن أیّة کلمـة یریدها فإذا کانت مفتوحة بالألف راجع الألـف وإذا کانت مختومة بالباء راجع الباء وبذلک یجد معنی تلک اللفظة.» (نقلاً عن دبیر سیاقی، ١٩٨٩م: ٢٤٩)

لطائــف اللغات: من تأليف عبداللطيف ابن عبدالله عباســى من أدباء نهايات القرن الحادى عشــر. ويتناول هذا القاموس شرح المفردات الفارســية والعربية والتركية فى ديــوان مثنوى لمولوى ولاشــکّ فى أنّه كتب قبل العام (١٠٤٨ق) "ســنة وفاة المؤلف" وكان عبداللطيف قد تفرغ لتنقيح مثنوى عدة سنوات ثمّ أخرج منه نسخة باسم "نسخهى ناســخه" وأضاف عليها نســخة تدعى "مرآة المثنوى" وألف شــرحاً حول مثنوى باسم "لطايف المعنوى" وقد وردت المفردات فيه على أساس الحرف الأخير فيها تحت عنوان "الباب" والحرف الأول تحت عنوان الفصل ولم يتم تشكيل الكلمات.

لطايــف اللغــات: تمّ تأليف هذا القاموس فى شــرح المفــردات الصعبة الواردة فى ديوان حديقة الحقيقة للشاعر ولا نعرف شيئاً عن المؤلف ولا عن تاريخ تأليف الكتاب يعود تاريخ الكتابة على مخطوطة مجلس الشــورى الإسلامى إلى العام (١١٣٤ق) غير أنّ المصادر التى اســتخدمت فيها تدل على أنّ تاريخ تأليف الكتاب هو القرن الحادى عشر الهجرى.

لقد اســتفاد المؤلّف من ثلاثين قاموساً كمصادر "فى الفصل الرابع الذى وصل إلينا" واستشــهد فى كثير من الحالات بالأبيات الشــعرية وقد ذكر إعراب الكلمات أحياناً لإظهــار الحركات فيها ولجأ فى بعــض الأحيان إلى اســتخدام الكلمات ذات الوزن المشــترک وإنّ ترتيــب المفردات فيه يشــبه ترتيب كتاب لطايف اللغــات لعبد اللطيف الكجراتى أى إنّ أساس الباب هو الحرف الأخير وأساس الفصل هو الحرف الأول.

لقــد قامت الباحثــة بتصحيح هــذه المخطوطة كأطروحــة لنيل شــهادة الدكتوراه التخصصية وسيتمّ التعريف بها فى مقال مستقل سيرى النور قريباً.

الفترة الثالثة: بعد العصر المغولى "العصر المتأخر"

«تشــمل الفترة الثالثة العصر الذى سقطت فيه الإمبراطورية المغولية فى شبه القارة الهندية والباكســتان. فبعد ســيطرة بريطانيا على الهند وتغيير النهج السياسى فيها فإنّ اللغة الفارسية وآدابها التى كانت لأكثر من ثمانية قرون اللغة الرسمية فى البلاط واللغة الأدبية والعلمية فى تلك البلاد قد تعرضت لمشاكل كبيرة حيث حاول المستعمرون بكل

جدیة إحلال لغتهم محل اللغة الفارسیة وقد اکتسبت اللغة الأردیة أهمیة کبیرة إذ کانت نتیجة جهود المسلمین الهنود للحفاظ علی حضارتهم ولغتهم وکانت هذه الأیام تمثل نهایات قوة اللغة الفارسیة فی تلک البلاد. غیر أنّ بعض الأدباء حاول إبقاءها حیّة هناک وذلک بنظم الأشعار الفارسیة أو تألیف القوامیس بهذه اللغة ویعدّ کتاب شمس اللغات أحد أهمّ القوامیس فی هذا العهد. من جانب آخر کانت بریطانیا لا تستطیع تجاهل نفوذ اللغة الفارسیة فی الهند ورغم أنّها کانت قد وجهت إلیها ضربات قاضیة فی الهند إلّا أنّ اقتضاءات سیاساتها وأصول حکمها دفعتها إلی استرضاء الناس ووضع معجم فاخر من الفارسیة إلی العربیة وأقدمت علی طبع شمس اللغات الذی کان یحتوی علی مفردات عربیة وفارسیة وترکیة وبهلویة وذلک حسب مشورة جوزیف بربتوجیز البریطانی.» (دزفولیان، ۲۰۰۰م: ۱۱) ومن المعاجم الأخری التی أُلّفت فی هذه الفترة یمکن الإشارة إلی خزانة اللغات الذی ألّفه نواب شاه جهان بیکم حاکم ولایة بهوبال فی مجلدین ویشتمل القاموس علی المفردات العربیة والفارسیة والسنسکریتیة والانجلیزیة والترکیة. أمّا المعجم الآخر فهو "هفت قلزم" الذی ألّف بین الأعوام (۱۲۲۹ و ۱۲۳۰ق) وقد ألّفه غازی‌الدین حیدر ویبلغ عدد مفرداته ۲۷۷۰۹ کلمة.

ومن القوامیس الأخری فی هذا العصر یمکن أن نشیر إلی آصف اللغات فی ۱۷ مجلداً وأرمغان آصفی فی ۸ مجلدات ومعجم غیاث اللغات الذی یعتبر معجماً شاملاً للمفردات الفارسیة والعربیة وکذلک فرهنک نظام فی خمسة مجلدات کآخر معجم من الفارسیة إلی الفارسیة.

«ومن المیزات التی تتصف بها معاجم هذه الفترة یمکن الإشارة إلی شمولیتها التی جاءت نتیجة اطلاع مؤلفیها علی الثقافات الأروبیة وبعد أن صدر فرهنک نظام فإنّ التطورات السیاسیة والأدبیة فی الهند والباکستان قد منعت صدور أیّ قاموس جدید من الفارسیة إلی الفارسیة.» (نقوی، ۱۹۶۲م: ۲۶)

النتیجة

إنّ عدم تشجیع الصفویین للأدباء والفنانین أدّی إلی نزوحهم الواسع إلی شبه

القارة الهندية وبالمقابل كان ترحيب الكوركانيين -مغول الهند- للمتحدثين بالفارسية والكتّاب والأدباء الإيرانيين قد أدّى إلى ازدياد وتيرة هذه الهجرة الأدبية. فمنذ هذه الفترة كانت غالبية المدن الهندية ساحة للثقافة والأدب الفارسيين فبينما كان الصفويون يهتمون بنشر اللغة التركية وكانت أسماء المناصب العسكرية والإدارية بالتركية فإنّ اللغة الفارسية كانت لغة العلم والأدب والثقافة والسياسة والارستقراطيين فى الهند. لاشكّ فى أنّ إحدى الفترات التى ليس لها مثيل من حيث نشر اللغة الفارسية فى الهند هى فترة "مغول الهند" إنّها فترة لا يمكن أن تتكرر غير أنّها لم تجد العناية التى تستحقها رغم الأهمية البالغة التى تحظى بها.

لقد وجدت الفنون الأدبية كالتاريخ والتراجم وتدوين المعاجم والقواميس تشجيعاً منقطع النظير من الحكام الكوركانيين "بخاصة من عصر همايون شاه وحتى عهد اورنك زيب".

ولكون اللغة الفارسية قد انتشرت قبل الكوركانيين فى شبه القارة وظلت منتشرة بعد سقوط الإمبراطورية المغولية وسيطرة البريطانيين ردحاً من الزمن لذا فإنّ من الممكن تقسيم تأليف القواميس فى الهند إلى ثلاث فترات هى فترة ما قبل المغول والعهد المغولى وفترة ما بعد المغول.

لقد تناول هذا المقال عشرة قواميس تعود إلى العهد المغولى وقد تمّ تأليفها على يد أفراد البلاط أو بأمر من الكوركانيين أو ألّف فى رقعة حكمهم وخلاصة القول هى أنّ أهم الأعمال المتعلقة بتأليف المعاجم فى شبه القارة الهندية قد أنجزت فى العهد المغولى لذا فإنّنا نستطيع أن نلاحظ أفضل الأعمال فى هذا المضمار خلال العهد المسمى بالعهد المغولى.

المصادر والمراجع

آموزكار، ژاله. (۱۹۹۵م). تاريخ اساطير ايران. ج۱. لاط. طهران: سمت.

أحمد، ادريس. (۱۹۹۸م). «شخصيت علمى و ادبى بابر». مجله تحقيقات فارسى. دهلى: بخش نشريه آمينه ميراث "دوره جديد".

الاصطخرى، أبو إسحاق إبراهيم. (۱۹۵۱م). المسالك والممالك. ترجمة ايرج افشار. طهران: لانا.

باقر، محمد. (۱۹٦۹م). «تأثیر و گسترش زبان فارسی در شبه قارهی هند و پاکستان». ترجمه مجید و هرام. نشریه بررسی‌های تاریخی. السنة ٤. العددان ۲و۳.

حسین قاسمی، میر منصور شریف. (۱۹۹۸م). «نقش زبان فارسی در هند». نشریه نامه پارسی. السنة ۳.

حکمت، علی‌اصغر. (۱۹۵۸م). سرزمین هند. طهران: دانشگاه طهران.

حمزةالاصفهانی، ابوعبدالله بن حسن. (۱۹٦۷م). تاریخ پیامبران و شاهان. ترجمه جعفر شعار. طهران: بنیاد فرهنگ ایران.

خائفی، عباسی وآخرون، رضا. نفوذ فرهنگ و تمدن ایران باستان در کشورهای شبه قاره. مرکز مطالعات خلیج فارس "النسخة الالکترونیة".

دبیرسیاقی، محمد. (۱۹۸۹م). فرهنگ‌های فارسی وفرهنگ‌گونه. طهران: اسپرک.

ـــــــــ (۱۹۹٦م). فرهنگ‌های فارسی به فارسی. طهران: آگاه.

دزفولیان، کاظم. (۲۰۰۰م). «فرهنگ‌نویسی در ایران و شبه قاره هند و پاکستان و بهار بعجم». نشریه شناخت. العدد ۲۷.

دهخدا، علی‌اکبر. (۱۹۹٤م). لغت‌نامه. طهران: مؤسسه‌ی لغت‌نامه دهخدا بالتعاون مع دار جامعة طهران للنشر.

ریاض، محمد. «ادبیات فارسی در شبه قاره هند و پاکستان». هنر و مردم. العددان ۱۵۹ و ۱٦۰.

سلطانیان، ابوطالب. (۲۰۰٤م). «غزنویان و شالوده‌های فرهنگ ایران در شبه قاره هند». نشریه دانشکده ادبیات و علوم انسانی دانشگاه اصفهان. العددان ۳٦ و ۳۷.

سلطانی، اکرم. «بررسی شیوه‌های لغت‌نویسی در چند فرهنگ معتبر فارسی». نامه فرهنگستان ۲/۹.

سلیمی، مینو. (۱۹۹۸م). روابط فرهنگی ایران و هند. الطبعة الأولی. طهران: مؤسسه چاپ و انتشارات وزارت خارجه.

صفا، ذبیح‌الله. (۱۹۹٤م). تاریخ ادبیات در ایران. ج٤. طهران: فردوسی.

ـــــــــ (۱۹۹٤م). تاریخ ادبیات در ایران. ج۵. طهران: فردوسی.

علی‌زاده، عزیز. (۲۰۰٤م). «زبان فارسی در هند». چشم‌انداز ارتباطات فرهنگی. العدد۱۳.

فاطمه حسینی، سیده بلقیس. (۱۹۹۷م). «دیروز و امروز فارسی. مجله تحقیقات فارسی». دهلی: بخش فارسی دانشگاه دهلی.

فلاح‌رستگار، گیتی. «افسانه زبان فارسی در هند. نشریه جستارهای ادبی». العدد ۲۸.

کوشا، کفایت. (۲۰۰٤م). «مهاجرت هنرمندان ایرانی به هند در دوره صفوی». نشریه آینه میراث "دوره جدید". العدد ۲٦.

مطیعی‌امین، حسین. (٢٠١٣م). «فرهنگ‌نویسی در شبه قاره و هویت». کلیات. السنة ١٦. العدد ٩.

معین، محمد. (١٩٥١م). مقدمة برهان قاطع. ج١. (مقدمه ب: دیگر زبان‌های ایرانی). طهران: لانا.

ـــــ مقدمه لغت‌نامه دهخدا. ج١. طهران: چاپ سیروس.

ـــــ (١٩٧٨م). مقدمه برهان قاطع. مصحح. طهران: امیر کبیر.

نقوی، شهریار. (١٩٦٢م). فرهنگ‌نویسی فارسی در هند و پاکستان. طهران: وزارت فرهنگ ایران.

ـــــ (١٩٦٠م). «فرهنگ‌نویسی در هند و پاکستان (١)». نشریه ارمغان. الدورة ٢٩. العددان ٤و ٥.